

© lakhasly.com تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

وعبد الله « ، وسأله : ألا ترى أن شعر دقيناً قد طال ١٢ وهذا مكان مناسب الخلافة . فقام عبد الله وهو يتحسس نَفْتَهُ ، وقال : أَجَلُ نَعْمَ الْإِفْتِرَاحُ ! فَأَسْرَعَ عَلَوَانُ (بِتَحْضِيرِ أَدَوَاتِ الْخِلَافَةِ ، وَحَمَلَ حَجْرَةً وَضَعَهَا قُرْبَ عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ : تَفْضِلُ إِجْلِسَ . فَأَبْتَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ « ، وَقَالَ : كُنْتُ أُرِيدُ أَجْراً فَسَيَفْتَنِي إِلَيْهِ . لَمَعَتْ فِي عَيْنِي عَلَوَانُ « الْحَمْرَاوَيْنِ وَمُضَةً شَرًّا ، وَأَمْسَكَ قِطْعَةً صَابُونٍ بِبَدْنِ مُرْتَبِكَةٍ ، وَحَكَّهَا عَلَى جِلْدِ صَدِيقِهِ عَبْدِ اللَّهِ « ، ثُمَّ أَخَذَ الْمَوْسَى وَأَمْضَاهُ عَلَى حَجَرٍ أَمْلَسَ ، فَلَمَّا شَعَّ بِرَيْقِهِ ، قَرَّبَهُ مِنْ وَجْهِ صَدِيقِهِ ، لَمَحَهُ وَعَبْدُ اللَّهِ « ، فَقَالَ لَهُ بِاسْتِعْرَابٍ : مَا لَكَ تَرْتَعِدُ هَكَذَا ؟ ! خَشِيَ عَلَوَانُ أَنْ يَكُونَ صَدِيقُهُ قَدْ قَرَأَ مَا فِي نَفْسِهِ ، فَحَاوَلَ التَّعْمِيمَةَ بِقَوْلِهِ : - إني . ضحك عبد الله وقال : لا تخش شيئاً ، فَإِنِّي سَمَحُ صَبُورٌ . وَضَعَ عَلَوَانُ شَفْرَةَ الْمَوْسَى عِنْدَ عِذَارِ (1) صَدِيقِهِ ، عَاضاً عَلَى شَفْتِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهَا فَأَسَابَتْ عَلَى وَجْهِهِ تَحْصُدُ شَعْرَهُ الْكَثَّ مُحْدَثَةً صَوْتاً كَالْخَشْخَشَةِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ مُمَازِحاً صَدِيقَهُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ حَلَّاقٌ مَاهِرٌ . فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ عَلَوَانُ « ، وَعَيْنَاهُ تَفْدَحَانِ الشَّرَّ ، فَلَمَّا حَادَى تَفَاحَةَ آدَمَ رَمَ شَفْتَيْهِ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ ضَعَطَ عَلَى الْمَوْسَى فِي حَنْجَرَةٍ صَاحِبِهِ بِقُوَّةٍ وَوَحْشِيَّةٍ ، فَهَبَّ عَبْدُ اللَّهِ مَذْعُوراً ، وَدَفَعَ عَلَوَانُ « بِيَدِهِ بَعْغْفٍ فَسَقَطَ أَرْضاً ، وَأَخَذَ يَدْعُو كَالْحِصَانِ الْجَامِحِ ، يَخْبِطُ صَدْرَهُ وَفَخْذَيْهِ مُحْشِجاً ، وَالْدَّمُ يَتَطَايَرُ مِنْ حَنْجَرَتِهِ كَالْمَاءِ الصَّيْبِ ، وَمَا أَنْ جَرَى خُطُواتٍ حَتَّى تَهَاوَى مُتَمَرِّعاً فِي التُّرَابِ ، وَ عَلَوَانُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ دَهْشاً مَذْعُوراً ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَوْقَ جَبْوَيْهِ ، ثُمَّ رَبطَ بِهَا الْجَنَّةَ وَسَحَبَهَا (3) إِلَى أَسْفَلِ النَّيْنَةِ ، حَيْثُ حَفَرَ حُفْرَةً وَارَى فِيهَا الْجَنَّةَ وَأَمَالَ عَلَيْهَا التُّرَابَ ، ذَاكَ أَحْسَ بِالزِّيَاحِ (1) الْجَمَلَ الَّذِي طَالَمَا أَنْقَلَ كَاهِلُهُ ، وَهَمَّ إِلَى صَدْرِهِ الْمُحْفَظَةِ وَقَبْلِهَا ، ثُمَّ جَهَرَ الْجَمَارَ وَسَاقَهُ وَهُوَ يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ عَيْنَ اللَّهِ لَا تَنَامُ وَمَرَّتْ شُهُورٌ ، وَعَلَوَانُ يَطُوفُ غَيْرَ الْفُرَى وَالِدَوَاوِيرِ ، إِلَى أَنْ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْقُرْبِ مِنْ شَجَرَةِ النَّيْنِ ، وَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَسْتَطْلِعَ أَخْبَارَ الْقَبْرِ الْمَنْسِيِّ عِنْدَ جُدُوعِهَا ، وَضَرْبُهُ بِالْعَصَا فَتَشِيْطُ فِي سِيرِهِ إِلَيْهَا . تَرَكَ الْجَمَارَ قُرْبَ الْبُفْرِ ، فَأَثَارَتِ التِّبَاهَةَ فَأَكْبَهُ النَّيْنِ الْكَبِيرَةُ الْمُمْتَلِكَةُ حَلَاوَةَ الرَّاشِحَةِ عَسلاً ، لَوْلَا رَغْبَتُهُ الشَّدِيدَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَصِيرِ الْقَبْرِ ، فَأَرْجَا أَمْرَهَا إِلَى حِينٍ ، دَلَفَ تَحْتَ الْعُصُونِ الْمُتَقَلِّةِ بِالنَّيْنِ الدَّانِي الْقُطُوفِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْجَذْعِ ، فَدَارَ حَوْلَهُ وَالدَّهْشَةُ تَعْقِدُ لِسَانَهُ ، لَقَدْ اسْتَوَى أديم الأرض وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ أَثَرٌ لِلْقَبْرِ . شَرَدَ ذَهْنُهُ وَتَسَاءَلَ : تُرَى أَنْبَسُ أَحَدُ الْمَارَةِ الْقَبْرِ ، فَتَعْرِفَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَحَمَلَهُ إِلَى أَهْلِهِ ؟ أَمْ أَنْ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يَمِتْ فَعَلَاً ، وَاسْتَطَاعَ الْخُرُوجَ مِنَ الْقَبْرِ ١٢ أَمْ . ماذا ؟ ! وَبَعْدَ لَحْظَةٍ مِنَ التَّفَكُّيرِ الْمُضْطَرِّبِ انْتَبَهَ إِلَى نَفْسِهِ ، كَيْفِيهِ مُسْتَخْفِياً بِالنَّيْنَةِ ، وَرَاحَ يَضَعُ فِيهَا تِيناً يَانِعاً مُكْتَبِراً لَمْ يَرِ مِثْلَهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : - هَذَا الدِّينُ الْعَرِيبُ كَيْفَ نَبَتَ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الْمَهْجُورَةِ ؟ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَاقٍ مِثْلَهُ ، فَمَا أَجْمَلُهُ هَدِيَّةً نَادِرَةً ، لَكِنْ لِمَنْ أَهْدِيهَا ؟؟؟ إِنِّي لَنْ أَسْتَطِيعَ الْعُودَةَ إِلَى الْفَرِيَةِ خَشِيَّةَ الْفَضِيحَةِ وَالْجَزَاءِ ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لِأَهْدِيئُهَا لِابْنَتِ عَنِّي عَسَاهَا تَمِيلُ إِلَيَّ ، وَتُحَقِّقُ أُمْنِيَّيَ الزَّوْاجَ بِهَا ، لَكِنْ أَنَّى لِي ذَلِكَ ؟ ! فِي وَفَكَّرَ مَلِيّاً ، وَأَخِيراً فَادَهُ حُبُّهُ لِلْمَالِ وَالْجَاهِ إِلَى فِكْرَةٍ ، وَهِيَ أَنْ يَحْمِلَ هَدِيَّتَهُ التَّمِينَةَ إِلَى الْحَاكِمِ ! حَمَلَ عَلَوَانُ سَلْتَهُ إِلَى الْقَصْرِ ، وَحَلَّمَ بِمَقَاتِلَتِهِ لِلْحَاكِمِ . اقْتَرَبَ مِنْ أَحَدِ الْحُجَّابِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ مَوْلَاهُ فِي الْامْتِنَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، غَابَ الْحَاجِبُ لَحْظَةً ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ إِلَى مَجْلِسِ الْحَاكِمِ . تَقَدَّمَ عَلَوَانُ جِدلاً (2) وَسَلْتَهُ الْمُعْطَاةَ بِأَوْرَاقِ النَّيْنِ الْعَرِيضَةِ تَزَادُ بِقِلَافٍ فِي يَدِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَجْلِسَ الْحَاكِمِ انْحَنَى ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَى مَوْلَايَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، وَنَزَعَ جِدَاءَهُ وَخَفَّ إِلَى أُرَيْكَتِ الْحَاكِمِ ، سَالَهُ الْحَاكِمُ وَهُوَ يَنْظُرُ بَانْدَهَاشَ إِلَى السَّلَةِ : مَا هَذَا ؟ إِنَّهُ هَدِيَّةٌ مُتَوَاضِعَةٌ يَا مَوْلَايَ . - إكْشِفْ عَمَّا فِي السَّلَةِ . بَلْ لِيَنْفَضِّلَ مَوْلَايَ بِالْكَشْفِ عَمَّا فِيهَا بِنَفْسِهِ . فَمَدَّ الْحَاكِمُ يَدَهُ إِلَى أَوْرَاقِ النَّيْنِ ، فَإِذَا رَأْسُ عَبْدِ اللَّهِ يَنْزِفُ دَمًا قَانِيَا قَوَّاراً ، فَاسْتَشَاطَ الْحَاكِمُ غَضَباً ، وَصَاحَ فِي وَجْهِ عَلَوَانٍ بِغَضَبٍ : أَيَّةُ وَقَاحَةٍ هَذِهِ ، وَأَيَّةُ اسْتِهَالَةٍ ! أَوْ تَجْرُو عَلَى كُلِّ هَذَا ؟ قَسِماً لِأَنْزَلَنَّ بِكَ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ . وَصَفَّقَ فَاتَاهُ الْحُرَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَالزَّبَدُ يَتَطَايَرُ مِنْ شِدْقَيْهِ ، وَالسُّرُورُ يَنْقُدُ مِنْ عَيْنَيْهِ : أَوْ يَقُوهُ . فَارْتَمَى عَلَوَانُ « عَلَى قَدَمِي الْحَاكِمِ يَأْتُمُهُمَا مُتَوَمِّلاً مُسْتَنْجِداً فَعَادَ الْحَاكِمُ إِلَى أُرَيْكَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : لَنْ أَرْحَمَكَ حَتَّى أَسْمَعَ جَرِيرَتِكَ . فَاعْتَرَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِجَرِيمَتِهِ ، وَالْحَاضِرُونَ يَتَوَلَّبُونَ لِلانْفِضَاضِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا عُرِفَ غَدْرُهُ ، قَالَ لَهُ الْحَاكِمُ : - كَيْفَ تُرِيدُ رَحْمَتِي ، وَكَيْفَ أَنْتَظِرُ مِنْكَ الْإِخْلَاصَ وَقَدْ قَتَلْتَ مَنْ يَفْضُلُهُ صِرْتَ رَجُلًا ، أَلَا إِنَّ عَاقَةَ الْحَيَانَةِ قَتْلُهُ لَيْسَ بَعْدَهَا حَيَاةً ! وَأَرْسَلَ إِلَى زَوْجَةِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَطَارِ وَأَبْنَائِهِ ، فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، اسْتَقْبَلَهُمْ اسْتِقْبَالاً حَسَنًا ، لَكِنَّ مُوَاسَاةَ الْحَاكِمِ لَهُمْ خَفَّتْ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ فَقْدِ وَهَبِهِمُ الْحَاكِمِ دَاراً فَحْمَةً مُؤْتَنَةً أَحْسَنَ تَأْتِيثٍ ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالْهَيَّاتِ مَا ظَلَّ مُضْرِبَ الْأُمْنَالِ فِي الْقَبِيلَةِ أَعْوَاماً وَأَعْوَاماً ، وَإِكْرَاماً لِابْنِ الْعَطَارِ الْأَكْبَرِ ، وَلِرُوحِ وَالِدِهِ الشَّهْمِ الْمُخْلِصِ الْحَقَّ الْحَاكِمِ بِحَرَمِهِ الْخَاصِّ وَزَوْجَتِهِ ابْنَتِهِ .